رؤوس وجبين

لا تقولي أفديه من مجنونِ ... أنا يا أختُ حكمتي في جنوني

ورشادي فيما يُعدُّ ضلالاً ... عندَ قومٍ فخارُهم يُخزيني

والنعيمُ الذي إليهِ استكانوا ... واستطابوهُ وحدَهُ يشقيني

ألفت مهجتي، ولذَّ فؤادي ... كلُّ ما عن نعيمهم يُقصيني

والشقاءُ الذي يفرّون منه ... لو تبيّنتِ وحدَه يحييني

سامحيني ولا تَراعيْ إذا لم ... يكُ شيءٌ من عالمي يغريني

ضاقتْ الأرضُ بالذي كنت أرجوهُ لقومٍ أرواحُهم من طينِ

لم أُطبَّلْ، ولم أزمّرْ لطاغٍ ... لا ولا بعتُ، أو أعرتُ لحوني

نغمتي تطرب العفاةَ، ولا كنتُ إذا ما أرسلتها للمجون

هي للروحِ والإباءِ نشيدٌ ... توقظُ الحبَّ في الفؤادِ الحرونِ

وهي حظي من الحياةِ، وحسبي ... أن صوتي لا لم يكن بالهجينِ

فاعذريني إن لم أكن في هجيري ... مستظلاً ظلاً يزولُ اعذريني

واعذريني إن لم أدفيء صقيعي ... بحريقٍ قد شبَّ من نيرونِ

أعشقُ البردَ والصقيعَ ولا أرضى بدفءٍ ما أوقدتْهُ يميني

وهجيري هو الظلالُ النديّاتُ ولا كان ظالمٌ يُؤويني

أنا يا أختُ في دياري غريبٌ ... لا أرى غيرَ عفّتي تعليني

لابسٌ بردةَ اليقينِ وحسبي ... أنني عشتُ لم أبدّل يقيني

جعتُ دهراً ـ كما علمتِ ـ وما بحتُ بجوعي لمتخمٍ يزدريني

آهِ ما أكرمَ المجاعةَ والفقرَ، ولا ذقتُ لقمةً من دونِ!

لذ لي ما ظننتِ فيهِ شقائي ... وهو حسبي من صرعةِ التمدينِ

لا تخالي أني البعيدُ عن العصرِ فما كنتُ فيهِ بالمسكينِ

سامني سامني، وأغرى، ومازال يُمنّي لعلّه يثنيني

لم أعرْ برقَه الكذوب اهتماماً خابَ من ظنَّ أنه يحتويني

ساءَ مسعاهُ حينَ لذَّ لعيني ... أن أراهُ مخيَّبَ التخمينِ

لمْ أُرِعْ مهجةً، ولا قلتُ زوراً ... كيفَ لي ذاكَ والسماحةُ ديني

لمْ أُعِنْ ظالماً، ولا كنتُ خبّاً ... راحَ يدعو للبغيِ بالتمكينِ

لا ولا كنتُ مُديةً تَذبَحُ القومَ، ولا كنتُ شاحذَ السكّينِ

لا ولا بعتُ للتصحُّرِ أرضي ... لا ولا في الدُّجى أذعتُ شجوني

فاعذريني إنْ لمْ أكن ذا يسارٍ ... لا ولا ظِلَّ جاهلٍ يُلغيني

بين بُرديَّ من إبائي فنونٌ ... قلتِ حقّاً إنْ قلتِ: فوقَ الجنونِ

حينَ تهوي إلى الحضيضِ رؤوسٌ ... سوفَ تلقينَ في السماءِ جبيني